ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والرهبنين مع ما لهم من الطقوس الدينية والاسرار المقدسة والعادات التقوية وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليراجع (لهُ بقيَّة)

الوحي الالهي

نظر في امكانهِ وضرورته

للاب شرل ايلا اليسوعي

لا حاجة هنا الى تفنيد كل ما آلت اليهِ فلسفة اعداء الوحي من التوهمات والاراجيف . فلا نخال القارئ اللبيب يتطلَّب منَّا في موقفنا هذا ان نبسط الادلة الناطقة بروحانيَّة النفس وخلودها ووجود الهٍ قائم بذاتهِ خالق للعالم متميِّز منهُ ومتسامٍ عليهِ بصفاتٍ لا حدَّ لكمالها الى غير ذلك من الحقائق الاساسية التي كأنَّ الطبيعة ذاتها رسَّختها في العقول . وانَّما اتينا (ص ٢٨٩ — ٢٩٦) على ذكر ما شذَّ عنها في حكمة المتعاقلين ليُعرَف الاصل من الفرع والطريقة ممَّا تؤدّي اليهِ

فحسبنا اذاً اقامة الحجَّة عليهم فيما يتحاماون بهِ على نفس الوحي الالهي وقد مرَّ بك (ص ١١٧ — ١١٨) انَّ مرجع ضلالهم فيهِ الى قضيَّتين . فامَّا انهم يعدُّونهُ ضرباً من المحال فيستنتجون عدم وجوده قبل التنقيب عنهُ واستطلاع البراهين الدالَّة على صحَّته . وامَّا انَّهم يتزهَّون عنهُ الحقّ سبحانهُ وتعالى بحجَّة انَّهُ لا يليق بجلاله وعظمته اذ ليس منهُ على قولهم فائدة للبشر والله حكيم رزين لا يُضيع الوقت فيما لا طائل تحته

وكان بامكاننا ان نضرب صفحاً عن ادعاءاتهم الواهنة هذه وتخييبهم مباشرةً : ليس من دليل على امكان شيءٍ اصرح من وجوده وليس من شاهدٍ انطق بفائدة امرٍ من ان يكون صانعهُ الرب الحكيم . والحال يا ارباب الحكمة المتعاقلة انَّ الوحي حادثٌ واقعيٌّ وما حُدوثهُ الَّا الله تعالى . وكفانا على هذا شاهداً ايمان ملايين من البشر وفي مقدَّمتهم آيةٌ في العلوم من جميع اصنافها في كل اين وآن مَن

نطق الحاقان بفضاهم وسداد رأيهم. فانَّ الايمان لم يتزعزع في قلب فردٍ او قلوب افراد بل العالم كلُّهُ من اقصاه الى اقصاه ضجَّ بهتاف المؤمنين: هم ديوانٌ من بني الانسان آمنوا وصاحوا: لا بدَّ من الايمان. هُمُ الملائكة وارباب اللاهوت والرسل والقديسون اعني كل الذين نبغوا علماً وقولاً وفضيلة وعملاً آمنوا وصاحوا: لا بدَّ من الايمان. هُمُ الاساقفة والكهنة ملتئمين في المجامع استفزَّتهم غيرة مجد الربّ فجاهروا بايمانهم وخاطبوا الشرق والغرب هاتفين: لا بدَّ من الايمان. هي الكنيسة جمعاء. كنيسة الديامس كما وكنيسة القرن العشرين خضعت لرأسٍ منظور واحد فتجنَّدت تحت قيادته وصادمت جيوش الجبابرة والمتعصبين فقهرتهم وانتصرت عليهم اذ صاح جندها: لا بدَّ من الايمان. هي النصرانيَّة برُمَّتها رددَّت في انحاء المعمور صدى صراخها اذ قالت: آمين آمين آمنَّا بكلامك اللهمَّ. ذلك والرجل بنيها غائصة في الدماء ورقابهم يتهدَّدها المتعصبون بالاسياف مشهرةً. لعمركم ايها المتعاقلون انَّ الامور هذه مدوَّنةٌ في التواريخ الصادقة لا ينكرُها المغفَّل عنه مهما تغافل. فاين تعليلها لديكم وماذا عساكم تعيّنون لها سبباً. يقول العالَمُ: قُضي على كل ذي نُطقٍ بالايمان وهو دليل إلْمَعيّ في الاذهان تأكيد الوحي فعلى الاقل اغلبيَّتُهُ ورجحانهُ ممَّا يجعل التنقيب عنهُ واجباً ولا يسوغُ لاحدٍ الإعراض عن استطلاع مطالعهِ بحجَّة انهُ ضربٌ من المحال (١. فانَّا يشبه المتعاقلون تأكيد امكان الوحي اولئك الفريسيين الذين كانوا عرفوا الرجل الاعمى خلقةً (٢ اذ رأوهُ غير مرَّةٍ يستعطي قبل ان فتح يسوع عينيهِ فلمَّا رأوهُ قد ابصر وشهد القاصي والداني انَّ الربَّ هو الذي صنع تلك المعجزة اذ طلى بالطين عيني الضرير ابَوا ان يُعيروا الجمهور سمعاً قائلين: « كيف يقدر رجلٌ خاطئ: ان يعمل آية كهذه ». وكذا المتعاقلون منذ نشأتهم يعارضون صوت التاريخ وشهادة الشعوب برُمَّتهم استحالة الوحي فيحكمون عليهِ قبل ان يفتّشوا حجَّتهُ

على انَّا آثرنا ان نلحق الكاذب حتى باب بيته فنبيّن في محادثاتنا هذه امكان

(١ اطلب (MONSABRÉ: Introduction au Dogme catholique, T. I, 3e *Conférence*, pp. 77-78.)

(٢ اطلب يو (٩: ١-٤١)

الوحي ثمَّ فائدته . ولكن لا بدَّ قبل ذلك ان نقدّم قولًا موجزًا في مقتضيات الوحي وشروط كيانهِ خصوصاً من جهة ما هو مرسل الى الكثيرين على ألسنة قليلين . اذ عبثاً نحاول بيان إمكان الامر إلمَّ نستطلع اولًا الشروط اللازمة لوقوعه ووجوده . ثمَّ قد سبق اليك الكلام انَّ من الوحي ما كان موضوعهُ سرًّا غامضاً اسمى من ان يتوصَّل الانسان بمجرَّد قواه الفطريَّة الى معرفته او الى تعليلهِ وتكييفهِ . وهذا من اخصّ الاسباب التي حدَتْ بالمقلِّين الى رفض الوحي بتاتاً . فسبيلنا اذًا ان نخصّص قسماً من ابحاثنا هذه للاسرار الالهيَّة ووجودها وامكان الوحي بها . اخيرًا لمَّا كانت ضرورة الشيء من أصرح الادلَّة على فائدتهِ جدُر بنا ان نختم هذا الفصل بجزء نبيّن فيهِ شدَّة افتقار البشر الى الوحي الالهي اذ بدونهِ تعسُر عليهم حتى معرفة الديانة الطبيعيَّة او اقلَّه لا يُحرزون حقيقتها كاملةً ولا يحتفظون بها سالمةً من شوائب الريب والغرور

فيتناول اذًا هذا الفصل من ابحاثنا اجزاء خمسة : ١ً في مقتضيات الوحي . ٢ً في امكانه اجمالًا ٣ً في الوحي بالاسرار خصوصاً ٤ً في فوائد الوحي ٥ً في ضرورته

١ في مقتضيات الوحي

ذهب بعض المدَّعين بالتقرُّب اليهِ تعالى ومفاوضتهِ مباشرةً (Pseudomystiques) ومنهم اصحاب المعاد الثاني (Anabaptistes) وقد سبق ذكرهم (ص ١٢٧) والكواكرس (Quaquers) ان الوحي ولا يكون الَّا مباشرةً لا يُلقيهِ الله على عبادهِ الَّا رأساً هابطاً على كلّ منهم بلا واسطة تقوم بينهُ وبينهم او اذا وكل الى وسيطٍ ما ان ينقل كلامهُ الى البشر فاقلّ ما يترتَّب عليهِ تعالى في زعمهم ان يُردف هذا الوحيَ العام بوحيٍ آخر خاص يُنزلهُ تراً على كل انسان كيما يتمكَّن بهِ ان يتحقَّق الوحي الذي نقلهُ اليهِ اولياء الله . فانَّ قلبَ العابد في مذهب هؤلاء الانبياء الكذبة بمثابة سفرٍ حيّ يرقم فيهِ المعبود آياتهِ فتكون كمحكّ ومعيار للآيات التي نزلت على الانبياء الاحرار فاثبتوها في الكتب المقدَّسة . امَّا كلام الله غيرُ المكتوب المنقول بالتقليد من الرسل الينا فلا حديثَ عنهُ لاصحاب هذا الضلال اذ انهم لا

يعتقدونهُ فلا يعدُّون لهُ حساباً جرياً على مذهب الشيعة البروتستنتيَّة التي هم شعبة منها

وغنيٌّ عن البيان انَّ الواقع هو خلاف وهمهم . وليست ديانة حرَّيهِ بالاعتبار الَّا وأجهرَ حلفاؤها انَّ الله انَّما يصطفي نفرًا قليلًا من الناس فيلقي عليهم وحيه بالدين ويُرسلهم الى بني جلدتهم مبشّرين بهِ . نعم انَّ الوحي مباشرةً ممكنٌ كما يمكن بالواسطة فالله على كل شيءٍ قدير يستطيع ان يخاطب كلًّا منَّا توًّا لا يحتاج الى وسيط يبلّغ عبادهُ كلامهُ . لكنَّهُ عزَّت قدرتهُ لم يحكم على نفسه بحذف كذا وسيط وليس حذفهُ من مقتضيات الوحي . بل أن يُلقّن الموحي الالهي قريبهُ نفرًا قليلًا ويأمرهم ان يُنذروا بهِ الباقين عاضدًا اياهم بآيات من عنده تدلّ على حقيقة رسالتهم ذلك اولى بهِ تعالى اذ يعود علينا بنفع اوفر وعليهِ بمجد اعظم

فانَّهُ وان كان ربُّك حرًّا في صنيعهِ منزَّهًا عن كل قيدٍ في اعمالهِ يُكسي مخلوقاتهِ من الكمال ما شاء وعلى قدر ما شاء ولا يترتَّب عليهِ ان يأتي بالمعجزات اكلها واسماها فمع ذلك لا يسوغ لك ان تخالهُ جلَّت حكمتهُ جعل ما فوق الطبيعة احطَّ منزلةً من الطبيعة عينها وليس بمعقولٍ ان يكون ربُّك جعل ترتيب المدارك الفطريَّة أحكم وانظم من ترتيب المدارك الفائقة الطبيعة التي يمنّ بها على البشر بوحيه ولا سيما انت عالم (راجع ص ٣٤) انَّ العالم الطبيعي وما فوقهُ متَّحدان ملتحمان التحام الاساس بالبناء فلا بدَّ ما بينهما من المناسبة والموافقة

والحال انك ترى في الكون المنظور المعقول نظامًا بديعاً يُكسبهُ حسناً ويُكسبهُ بهاء مما يعلو بك اذا اعملتَ فيهِ الفكرة الى ادراك شيءٍ من جمالهِ تاج بُردتهِ فتُفتَن بهِ وتهبّ مسبّحاً لهُ هاتفًا بصفاتهِ . ولا يغرُب عنك انَّ من اقوى عوامل هذا النظام تلك الروابط الوثيقة التي بها جمع مُبدعُ الكائنات شتاتها فوحّد بينها حتى جعلها كأنها كائنٌ فردٌ ولسانٌ واحدٌ يُفصح عن كمالات الباري سبحانهُ وتعالى فانَّ المعجزات كافَّةً منوطةٌ بهِ ولكن ليس به وحده . كلُّها مفتقرةٌ الى الله ولكن ايضاً بعضها الى بعض . كلُّها تنال من المراحم الربانيَّة وجودًا وبقاءً ومقدرةً وفعلًا ولكن ليس بدون واسطةٍ تقومُ بينها وبين الجوَّاد الالهي . هو العلَّة الاولى الفريدة غير انَّ مصنوعاتهِ ايضاً كلُّها علل ثانية مُحدِثةٌ مُحدَثةٌ تالدةٌ مُنيلة تتسلسل ابتداءً من

العلّة الثانية الاوّليّة حتى الاخيرة . ألا انظُرْ يا رعاك الله الى المجتمع الانساني مثلاً وتأمل . ألا ترى كيف تسيل في عروقه الحياةُ متحدرةً من عضو الى آخر . اجل هو الخالق نفث نسمة الحياة الاولى لكنّهُ كأنهُ قسم للجدّ الاوّل ولكلّ الوالدين من بعده شطرًا من قدرته الخالقة اذ خوّلهم جميعاً قوّة لإحداث الحياة بالتناسل فيما بينهم . وكذا الرزقُ والعلم والجاه وغير ذلك ينال اكثرهُ الخلف من السلف حتى أضحى الناس أسرةً واحدةً يتعاقب اعضاؤها مدى الاجيال تربطهم بعضاً ببعض صلاتُ الرحم والخير المتبادل ويربطهم بالله خالقهم رأسٌ نالَ منهُ الحياة فجاد بها عليهم جميعاً . فلِمَ يا تُرى يخلُّ هذا النظام او ينقص فيما فوق الطبيعة ؟ لِمَ هناك وليس هنا الصلات الوطيدة بين الخلائق ؟ لِمَ لا تكونُ على الاقل المضاهاة بين العالَمَيْن الاسمى والاسفل فيحوي ذاك ما حواه هذا ؟ لِمَ لا يوجد هنا كما وهناك آباء أولاهم الله شيئاً من قدرته المُنعشة فتحدّثنا أبوّتهم بأبوّته تعالى اذ يُحيونَ الارواح بما منَّ عليهم من علمه الالهي ؟ لِمَ لا تتجلّى في الكون الاعلى كما في الادنى قدرتهُ تعالى وكرمهُ وحكمته ؟ بدتِ القدرة والكرم في المنظورات اذ برأ القدير مع آثار قدرته مقتدرين كثيرين واضاف الكريمُ الى عطاياه مُعطين عديدين . شهدَت المحسوسات بالحكمة الالهية اذ لَمْ تُقِم فيها قوةً واحدةً عبثاً بل استخدمت كلًّا منها لغاية خصَّتهُ بها . شملَ الربُّ بني الانسان بعنايته الابويّة اذ جعل بينهم مراتب ودرجات فكان الغنيّ والفقير والمعلّم والتلميذ والرئيس والمرؤوس والمتسلّط والمتسلّط عليه فخضع هذا لله في شخص ذاك فضوعف اجرُ طاعته اذ رَهِبَ سلطة الاصيل حتى في الوكيل البعيد . فلامَ يُنبئني العالم حتى الابكم بمحاسن مُبدعه ويظلّ لسانُ حال الوحي اعيَ يُفصح قولًا فقط لا فعلًا عن اوصاف الله الناطق به ؟ أيكونُ ربّي اذ رفعني الى ما فوق طبيعتي فباح لي ببسائره نفدت كنوزُ رحمته فأولجني عالمًا يقول لي هو انّهُ اسمى من الذي وُلِدتُ فيه الّا انّهُ كاد يُعمي اوهن منهُ واعجز نطقاً بمناقب العليّ

والحاصل على ما قال القديس توما الاكويني : « انَّ ما كان من الله انما يجري على ترتيب ونظام فلا بدَّ اذًا من الترتيب في كيفية اظهار الامور المنوطة بالايمان ويكون

ذلك بان يأخذها البعض عنهُ عزَّ وجلَّ وغيرهم عنهم وكذا من الاوَّلين الى الآخرين » (١

على انَّ نتيجتنا هذه لا تنافي كون الله تعالى يُعين العباد بذاته على حسن اقتبال الوحي من اوليائه . قال بولس الرسول في هذا المعنى : « مَن ذا أبلوس ومَن ذا بولس . انَّهما خادمان آمنتم على ايديهما وانما اكتفيهما قدر ما اعطاه الربّ . انا غرستُ (أفيكم كلامَ الله) وابلوس سقى لكنَّ الله هو الذي انمى . فليس الغارس أدنى بشيء ولا الساقي بل المُنمي وهو الله » (١ كور ٣ : ٤—٧) . فهو تبارك مراحمهُ يُفيض انواره على عقل المؤمن ويُبطل على قلبهِ مياه النعمة العذبة ويأخذ بيده هادياً اياه الى الايمان بكلامه المنقول على ألسنة اوليائه بل « ما من احدٍ يستطيع ان يُذعن للبشارة الانجيلية كما يجب للحصول على الخلاص بلا اثارة والهام من الروح القدس الذي يُجدي الجميع عذوبةً بالاذعان والايمان » (٢ على انَّ هذا العضد العاري لا يتضمَّن وحياً جديداً وانما الغرض منهُ تنشيط الذهن ليستدلَّ على صحَّة رسالة النبي ويفهمَ منطوق الوحي الذي أُلقيَهُ كما وتشديد الارادة ايضاً لتنهض بالعقل الى الانقياد الوحي والايمان بمضمونه . فالنعمة داخلَ القلب تُرشد الى تصديق الكلام المُنزل على رسل الله لا تُضيف عن ضرورةٍ الى وحيه اليهم وحياً آخر . وفي هذا المعنى جاء في الاسفار الكريمة انَّ الله هو وحدهُ مُرشد العقول وهادي القلوب لا شريك لهُ في مهمَّة قيادتها الى الحقّ والصلاح (٣

واذ علمتَ ما ليس من مقتضيات الوحي بقي علينا ان نبسط لك مقتضياته الايجابية التي لا بدَّ منها لوقوعهِ ووجوده بل بها يقوم كيانه وحقيقته . فنقول : اذا ما قصد الله اعلان امر للبشر بواسطة وليٍّ لهُ وجبَ ان يؤثّر في ذهنه اليقين باشياء ثلاثة : ١ً الامر المراد اعلانهُ وهو الحقيقة الموحاة . ٢ً كون الله ذاتهِ موحياً بها الى وليه . ٣ً قصده تعالى ان يبلّغها وليُّهُ عبادهُ . وبهذه الشروط يتمّ كيانُ الرسالة ولا

---

١) الخلاصة ضدّ الامم ك ٣ ف ١٥٤

٢) المجمع الواتيكاني الجلسة الثالثة الفصل الثالث في الايمان — وكذا ايضاً المجمع الاورزيكاني الثالث في قانونه السابع

٣) اطلب ١ يو ٢ : ٢٧ ومت ٢٣ : ٨

يبقى الّا ان يُذرِّعَ الرسولُ بالآيات الالهية التي يشهدُ بها العليّ القدير للبشر انّ الرسول حقاً موفدٌ اليهم منهُ ليُسمعهم كلامهُ فينقادون لهُ طوعاً . قلنا :

١ً لا بدَّ للرسول من ان يتأكّد الحقيقة الموحاة . وذلك لأنّ الغاية من الرسالة ان يؤمن الناس بما يُنذرُهم به الرسول باسم الله وعن امره ايماناً خليقاً بالوحي الالهي المبني عليهِ فلا يشوبه ضلال ولا يقاقله ريب . ولكن انّى للرسول ان يُحقّق هذه الغاية ما لم يكن الحقيقة الموكل اليهِ تعليمها تابعة مراعية في حدّ ذاتها ولديهِ ! اليجوز لهُ ان يجعل الباطل في معرض الحق والشكّ في معرض اليقين فيظلم خلقَ الله بان يتطلّب منهم اعتقاداً متيناً بما لم يتأكّده هو او كان في واقع الحال كذباً وبهتاناً

٢ً لا بدَّ للرسول من معرفة مصدر الوحي فيدري عن صوابهِ ويتحقق ان مادّتهُ الامور التي يُبشّرُ بها انما هو الله عزّ وجلّ (١) . والّا امسى الايمانُ ضرباً من المحال او اقلّهُ كانت دعوةُ العبادِ اليهِ انما يُثقّلُ عاتقَ الوليّ . فقد سبق القول (ص ٣٥) انّ الايمان الحقيقي لا يكونُ عن جهلٍ وعمًى بل عن علّةٍ صوابيّة يفقهها المؤمن قبل ان يقيّد عقلهُ بالتصديق ويخطو الى الاقرار وما هذه العلّةُ الّا كلامُ الله . وان كان تحقّق صحّة وقوعهِ من اوّل ما يترتّبُ على المدعوّين الى الايمان فكم بالاحرى على الذين يدعوهم اليهِ من قبل الله . وان كان تسليمي بقولٍ ليس من الله كأنّهُ منهُ جهلاً وغوايةً لا فضيلةً وصلاحاً افليس على من يندبني اليهِ بل يازمني بهِ انما فاضحاً . صرّح القديس بولس كما وغيره من الرسل والانبياء بوجوب التمسّك بتعليمه بل بالغت بهِ شدّة الانذار في هذا الموضوع الى حدّ ان قال لاهل غلاطية (غلا ١ : ٨) : « ان بشّركم ملاكٌ بخلاف ما بشّرناكم فليكن مبتذلاً » . الّا انّهُ اذا خطَت براعته هذه العبارة كان عالماً متيقّناً انّهُ انما بشّر الغلاطيين بما لُقّنهُ من الاله يسوع المسيح ولذلك خطف وقال : « انّ الانجيل الذي بُشّر بهِ على يدي ليس بحسب الانسان لاني لم اتسلّمهُ او اتعلّمهُ من انسان بل بوحي يسوع المسيح » (غلا ١ : ١١ — ١٢)

٣ً لا غنًى للرسول عن الوقوف على حقيقة الغاية التي من اجلها خصّهُ الله بوحيهِ من عنده . فلا يحقّ لهُ نشر تعليمه ما لم يُشبع تعالى الوحيَ بايماز منهُ اليهِ ان بلّغ

---

(١) وقد يكون مُبلغ الوحي الى الولي ملاكاً . وقدّاً اليه من الله

البشر مقالي وُرْمهم بالانقياد اليهِ والتصديق بهِ . وان لم يكن ذلك او لم يتثبّته مُلَقّن الوحي تعدّى وجار على العباد بكرازته مهما كان مضمونها راهناً ثابتاً والوحي بها امرًا واقعاً . كيف لا وقد سطا على العقول من غير سلطةٍ يحكمُ فيها ولم يولهِ الله حُكماً فهو وليٌّ لا رسولٌ . قريبٌ اليهِ تعالى لا وسيطٌ بينهُ وبين البشر فليس حقيقاً بان يخاطبهم باسم ربّهم متقلّداً سلطانهُ عليهم (١

تلك هي شروط الوحي موجّهاً الى العموم على السنة الاولياء وبها قوامُ الرسالة . امّا العلامات التي بها يُميّز صحيح الوحي من فاسده والتي تضمنُ للبشر حقيقة هبوطهِ على الرسول وايفادهِ اليهم من قبل الله ليندبهم الى الايمان بهِ فقد سبق لنا ذكرها (ص ٤٠—٤٣)

٢ امكان الوحي اجمالاً

نُرجئ القول في موضوع الوحي الى القسم التالي فنعتبر الآن الوحي في حدّ ذاتهِ ولا ننظر الى كون بعض مضمونهِ اسرارًا غامضة خرجت عن دائرة المدركات العقليّة الطبيعيّة

واذ قدّمنا لك الحديث في شروط الوحي والاصول التي يقومُ بها فسبيلنا الآن ان نقيم الحجّة على امكانها فان ثبت هذا ثبت ايضاً انّ الوحيَ امرٌ ممكنٌ ليس من التناقض بشيء فهو إذًا مستطاعٌ لدى ضابط الكلّ وظهرَ للعيان انّ مزاعم العقليين فيهِ واهنة واهية . فنقول :

يستطيع الله القدير ان يؤثّر بذاتهِ في ذهن الانسان فيُرْتيهِ علماً بما يُريد ولا حاجة الى الاسهاب للدلالة على هذه الحقيقة

تكشف لي الطبيعة الخرساء كل يوم وكل ساعة اسرارها الخفيّة . تُرى اليس الله هو الذي فتح لها الطريق المؤدية الى عقلي . اليس هو الذي حوّلها قدرةً ان تؤثر في حواسّي وبها في عقلي . فكيف يضلّ هو السبيل الذي نهجهُ وكيف يكون هو خالياً من القوّة التي خلقها حتى في الجمادات ايكون منّ عليها بما ليس عنده فتستطيع هي تعليمي ولا يتمكّن هو من تثقيف عقلي بذاتهِ

---

١) اطلب الملاحة اللاهوتية للقديس توما (ج ٢ من القسم ٢ المطلب ١٧ ق ٥) وكتاب سوارس (Suarez) في الايمان (المحادثة ٨ ج ٤)

كذلك الشاهد يزكي قولهُ ويُحدث فيَّ علماً بالغيب ويقيناً بهِ. وقد قضيتُ اعواماً على مقاعد المدارس اقتبسُ الفوائد من افواه اساتذتي. افيقصر خالق الشاهد والمعلَّم عمَّا يقدران هما عليهِ ام يكونان من غير خلقهِ ام اكون انا على ما اجمع عليهِ الفلاسفة حيواناً قابل التعليم (animal docibile) ولكن من البشر لا من بارئهم كأنَّ هذا يجهلُ اساليبهم وطرقهم فيتعذَّر عليهِ السير عليها او اختراع غيرها بالوف كيما يبلغ ذهني ويوقفه على ما يريد

اخيراً قضى العقليُّون على الله ان يكون احقر واعجز من مشترعي العالم وسلاطينه فانَّ هؤلاء يسنّون السنن ولا شيء يحجزهم عن تبليغها رعاياهم ونشرها في ظهرانيهم امَّا الله فعليهِ في زعم اعداء الوحي ان يكتفي بما نتصفَّحهُ في كتاب الطبيعة من ارادته وليس لهُ ان يقيّد ارادتنا باحكام وضعيَّة فان رأى مثلاً ان يأمرنا باكرامه على وجهٍ مخصوص وتأدية العبادة لهُ على نمطٍ يفضّلهُ هو على غيره تعذَّر عليهِ ذلك لانهُ لا يرى سبيلاً الى اعلامنا مشيئته (١

فيا لله ما اقصر حكمة هؤلاء المفلّقين الناطقين الذين قصَّروا باع ضابط الكلّ فجاءوه اضعف من براياه اذ قاسوا قدرتهُ بفلسفتهم الراهنة

امَّا كون الوحي صادراً عن الله وهابطاً منهُ الى وليّهِ فذا امرٌ لا يخرج عن نطاق سائر الحقائق المعقولة فكما استطاع الله الوحي بغيره كذلك يستطيع بهِ. وزد على ذلك انَّهُ جاءت قدرتهُ يظهر للمتروّي في اعماله الفائقة الطبيعة كما يظهر في الطبيعيَّة منها بل بالاحرى فانَّ المتأمل المتبصّر يرقى من العالم المنظور الى معرفة مُبدعه ومن الناموس المدوَّن في الضمير الى المشترع الالهي الذي رسمهُ فيهِ فكيف لا يُعرَف الاله من اثرهِ في ذهن وليّه. يعلّل الانسان المفاعيل فيستنتج علَّتها وماهيَّتها وكذا النبيّ يستطيع ان يعلّل النور العلويّ الذي افاضهُ ربُّه عليهِ

واما غاية الله بالوحي وقصدهُ ان يعلنهُ على لسان رسوله الى البشر فذا ايضاً من الحقائق المعقولة يمكن الله ان يوحي وليّه علماً بهِ. هذا فضلاً عن انَّ ربوبيَّة العلي السامية تقتضي ان يقوى تعالى على اقامة نوّاباً عنهُ وقضاةً يحكمون في عباده عن

---

١) اطلب موضوعه في المجلَّد ذاتهِ (ص ٨١–٨٤)

امره كما يفعل ملوك الارض ولكن كيف يتمّ ذلك لهُ عزَّ وجلَّ إلّم يكن لديهِ وسيلةٌ لتقليد سلطتهِ اولياءهُ المصطفين

وقد اومأنا فيما سبق (ص ١٢٠) الى كيفية تأثير الله في ذهن النبي . وهَبْنا لا نعلم شيئاً من تلك الكيفية فليس جهلنا هذا دليلاً على عدم وجود هذا التأثير واستحالته . افنحسب خلقاً محالاً نبات الزرع ونموّه لانّا لا ندري كيف تموت الحبّة في الارض ثمَّ تحيا وتحيي ما انشقّت عنهُ

انت لا تعرف اباك ولم تدرِ من انت ولا كيف الوصولْ
ابن منك الروحُ في جوهرها هل تراها ام ترى كيف تحولْ
انت اكلُ الخبز لا تعرفهُ كيف يجري فيك ام كيف يزولْ

أفتكون انت وما فيكَ من الامور المحالة لانك لا تدري كيف كُوِّنت ولا كيف تنمو ؟ (لها بقيّة)

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

زيارة الاب بوهنا اليانو الاولى الى الموارنة

فاستعدّ الاب اليانو لتلك المهمّة بما استطاع من النشاط . وكانت سفارتهُ السابقة الى بطريرك الاقباط قد حنّكتهُ واوقفتهُ على احوال النصارى الشرقيين . وكان بعد رجوعهِ من تلك الرحلة لم يزل يكاتب معارفهُ في الشرق ويتردَّد على من يسكن رومية او يزورها من اهل الشرق فيعدُّونهُ كاحد مواطنيهم ويلتجئون اليهِ في حاجاتهم

وكان ايضاً قد زاد تضلُّعهُ باللغة العربيّة اذ كان رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة العامُّون كالاب جاك لَيْنس خلف القديس اغناطيوس (١٥٥٦—١٥٦٦) ثمَّ القديس